

## الآداب المعنوية للصلة، الإمام الخميني: في نبذة من الآداب الباطنية لإزالة النجاسة



الفصل السابع

في نبذة من الآداب الباطنية لإزالة النجاسة

والتطهير من الخبائث

فأعلم أن إزالة الحدث كما مرّ هي في الخروج من الإذية والأنانية والفناء عن النفس بل هي الخروج من بيت النفس بالكلية، وما دام في العبد بقايا من نفسه فهو محدث للحدث الأكبر والعابد والمعبد فيه هو الشيطان والنفس. وان منازل سير أهل الطريقة والسلوك إذا كانت لأجل الوصول إلى المقامات

وتحصل المعااج والمدارج فليست خارجة عن تصرف النفس والشيطان وإنما السير والسلوك معللة، فالسلوك إذن في منازل النفس والسير في جوف البيت ومثل هذا السالك ليس بمسافر ولا سالك وليس مهاجرا إلى الله ورسوله ، وما طهر من الحد الأكبر الذي هو عينيّة العبد فإذا تطهر من هذا الحد بالكلية يكون العابد والمعبود هو الحق تعالى ويحصل نتيجة قرب النافلة أي: كنت سمعه وبصره .. فمن هذه الجهة يلزم غسل جميع البدن في الطهارة من الحد الأكبر لأنه مادامت عينيّة العبد باقية بوجه من الوجوه لم يرتفع الحد فان تحت كل شعرة جنابة فالتطهير من الحد هو التطهير من الحدوث، ثم الفناء في بحر القدم وكما له الخروج من الكثرة الاسمائية التي هي باطن الشجرة ويخرج بهذا الخروج من الخطيئة السارية لآدم أصل الذريّة، فالحدث هو من القذارات المعنوية وتطهيره أيضاً من الأمور الغيبية الباطنية وهو نور لكن الوضوء نور محدود والغسل نور مطلق، وأيّ وضوء أنقي من الغسل ( قال فقيه الأمة الشهيد الثاني (قدّس سرّه) : "وأما إزالة النجاسة فالكلام فيها نحو الكلام في الطهارة في التزكية بتطهير القلب من نجاسته الأخلاق ومساؤتها فانك إذا أمرت بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر وتطهير الثياب وهو أبعد عن ذاتك فلا تغفل عن تطهير لبّك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له بالتوبه والنندم على ما فرط وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل، وطهر بها باطنك فإنها موقع نظر المعبد). وأما هذه المكانة فليست لإزالة الخبث والنجاسات الظاهرة لأنها تنطف صوري وتطهير ظاهري والأداب القلبية لها هي أن يعلم السالك الذي يريد الحضور في محضر الحق انه لا يمكن التطرق إلى محضر الحق مع رجس الشيطان ورجس هذا الخبيث . وما لم يحصل الخروج من أمهات المذام الأخلاقية التي هي مبدأ لفساد المدينة الفاضلة الإنسانية ومنشأ للخطئات الظاهرة والباطنية لم يجد السالك طريقا إلى المقصود ولا سبيلا إلى المقصود.

إن الشيطان الذي كان مجاورا للعالم القدس ويعد في سلك الكروبيين فانه آخر الأمر بواسطة الملائكة الخبيثة أبعد عن جناب مقام المقربين وأرجم بنداء فأخرج منها إنك رحيم (ص 77 والحجر 34) . فاذاً نحن المتأخرین عن قافلة عالم الغيب والساقطين في بئر الطبيعة العميق والمردودين إلى أسفل السافلين كيف نقدر مع وجادنا الملائكة الخبيثة الشيطانية أن نلقي لمحضر القدس ونكون مجاوري للروحانيين ورفقاء للمقربين .

إن الشيطان رأى نفسه ورأى ناريته وقال أنا خير منه، وهذا الإعجاب بالنفس صار سبباً لعبادة نفسه وتكبره وتحقير آدم وإهانته وقال خلقته من طين، وقاد قياساً باطلًا ولم ير حسن آدم وكمال روحانيته بل رأى ظاهره ومقام طينته وترابيته ورأى من نفسه مقام ناريته وغفل عن الشرك وحب النفس ورؤيتها، فصار حب النفس حجاً با لرؤبة نقصه وشهود عيوبه وصارت هذا الرؤبة للنفس والحب لها سبباً للتبعد لنفسه والتكبر والتطاير والرياء والاستقلال في الرأي والعميان وأبعد عن معراج القدس إلى تيه الطبيعة

المظلمة . فاللازم للسلوك إلى أهـ أن يطهـر نفسه من أمـات الرذائل والرجـاس الباطـنية الشـيطـانية عند تـطـهـيره الرـجـاس الصـورـية وان يغـسل المـديـنة الفـاضـلة بـماء رـحـمة الحق وارـتـياـض شـرعـي ويـصـفـي قـلـبه الـذـي هو محلـ لـتجـليـ الحق ويـخلـع نـعلـيـ حـبـ الجـاه وـالـشـرف كـي يـلـيق لـلـدـخـول فـي الوـادـي المـقـدـس الأـيمـن ويـكون قـاـبـلا لـتـجـلـيـ الـربـ، وـما دـام لم يـحـصل التـطـهـير من الرـجـاس الـخـبـيـثـة لا يـمـكـن لـهـ التـطـهـير من الأـحـدـاث لأن تـطـهـير الـطـاهـر مـقـدـمة لـتـطـهـير الـبـاطـنـ، وـما لم تـحـصل التـقـوـى التـامـة الـمـلـكـيـة الدـنـيـوـيـة عـلـى وـفـق دـسـتـورـ الشـرـيـعة المـطـهـرـة لم تـحـصل التـقـوـى الـقـلـبيـةـ، وـما لم تـحـصل التـقـوـى الـقـلـبيـةـ من الـأـمـور الـتـي ذـكـرـناـهاـ لم تـحـصل التـقـوـى الـرـوـحـيـة السـرـيـةـ الـحـقـيقـيـةــ. وجـمـيع مـرـاتـبـ التـقـوـى مـقـدـمةـ لـهـذـهـ الـمـرـتـبـةـ وـهـرـ تركـ غـيرـ الحقـ، وـمـاـدـامـ فـيـ السـالـكـ بـاقـيـةـ بـاقـيـةـ مـنـ الـأـنـانـيـةـ فـلـنـ يـتـجـلـيـ الحقـ عـنـ سـرـ .

نعم ربـما يكون بـمـقـتضـى سـبـقـ الرـحـمةـ وـغـلـبةـ جـهـةـ يـلـيـ اللـهـيـ يـدـركـ السـالـكـ الإـمـدادـ الغـيـبـيـ وـيـحرـقـ بـالـجـذـوةـ الإـلـهـيـةـ ماـبـقـيـ مـنـ الـأـنـانـيـةـ إـنـ كـانـتـ، وـلـعـلـ فـيـ كـيـفـيـةـ تـجـلـيـ الحقـ لـلـجـبـلـ وـانـدـكـاـكـهـ وـصـعـقـ مـوـسـىـ إـشـارـةـ لـمـاـ ذـكـرـ، وـهـذـاـ الفـرـقـ أـيـضاـ مـوـجـودـ بـيـنـ السـالـكـ الـمـحـذـوبـ وـالـمـجـذـوبـ السـالـكـ .

وـقـدـ يـتـفـطـنـ أـهـلـ الـحـقـيقـةـ مـاـ ذـكـرـ إـلـىـ نـكـتـةـ قـاـبـلـةـ لـاـنـ تـعـلـمـ وـمـطـلـبـ مـهـمـ وـالـجـهـلـ بـهـ مـنـشـأـ لـكـثـيرـ مـنـ الضـلـالـاتـ وـالـغـوـيـاتـ وـالـتـأـخـرـ عـنـ سـلـوكـ طـرـيقـ الـحـقـ وـلـاـ يـنـبـغـيـ لـطـالـبـ حـقـ الـجـهـلـ بـهـ وـلـاـ يـجـوزـ لـهـ الغـفـلـةـ عـنـهـ، وـهـوـ أـنـ السـالـكـ وـطـالـبـ الـحـقـ لـابـدـ أـنـ يـبـرـئـ نـفـسـهـ مـنـ الإـفـرـاطـ وـالـتـفـرـيـطـ الـلـذـينـ يـكـونـانـ فـيـ بـعـضـ جـهـلـةـ أـهـلـ التـصـوـّـفـ وـبـعـضـ غـفـلـةـ أـهـلـ الـطـاهـرـ حـتـىـ يـمـكـنـ السـيـرـ إـلـىـ أـهـنـ، وـلـاـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ الـطـاهـريـ الـقـالـبـيـ حـشـوـ وـهـمـ لـلـجـهـاـلـ وـالـعـوـامـ، وـأـمـاـ الـذـينـ هـمـ أـهـلـ السـرـ وـالـحـقـيقـةـ وـأـصـاحـابـ الـقـلـوبـ وـأـرـبـابـ السـابـقـةـ الـحـسـنـىـ فـلـاـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ هـذـهـ الـأـعـمـالـ، وـانـ الـأـعـمـالـ الـقـالـبـيـةـ لـأـجـلـ حـصـولـ الـحـقـائقـ الـقـلـبيـةـ وـالـوـصـولـ إـلـىـ الـمـقـصـدـ فـإـذـاـ وـصـلـ السـالـكـ إـلـىـ الـمـقـصـدـ فـاـلـاشـتـفـالـ بـالـمـقـدـمـاتـ تـبـعـيـدـ لـهـ وـالـاشـتـفـالـ بـالـكـثـرـاتـ حـجـابـ لـهـ. وـالـطـائـفـةـ الـثـانـيـةـ قـامـتـ فـيـ قـبـالـ هـذـهـ الطـائـفـةـ فـوـقـعـواـ فـيـ جـانـبـ التـفـرـيـطـ وـأـنـكـرـواـ جـمـيعـ الـمـقـامـاتـ الـمـعـنـوـيـةـ وـالـأـسـرـارـ الـإـلـهـيـةـ وـسـوـىـ مـحـضـ الـطـاهـرـ وـالـصـورـةـ وـالـقـشـرـ أـنـكـرـواـ سـائـرـ الـأـمـورـ وـنـسـبـوـهاـ إـلـىـ التـخـيـلـاتـ وـالـأـوـهـامـ وـلـاـ زـالـ التـنـازـعـ وـالـمـجـادـلـةـ وـالـمـخـاصـمـةـ بـيـنـ الـطـائـفـتـيـنـ، كـلـ يـرـىـ الـآخـرـ عـلـىـ خـلـافـ الشـرـيـعـةـ وـالـحـقـ أـنـ كـلـتـاـ الـطـائـفـتـيـنـ قـدـ تـجـاـزـوـزـ عـنـ الـحـدـ وـوـقـعـواـ فـيـ الإـفـرـاطـ وـالـتـفـرـيـطــ، وـنـحـنـ أـشـرـنـاـ فـيـ رـسـالـةـ سـرـ الـصـلـةـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـوـضـوعــ، وـفـيـ هـذـاـ الـمـقـامـ أـيـضاـ زـرـىـ حـدــ الـاعـتـدـالـ الـذـيـ هـوـ الـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ فـيـ (ـالـكـافـيـ عـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ (ـ)ـ \*ـ)ـ هـوـ الـإـمـامـ الـرـابـعـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ وـسـيـدـ الـسـاجـدـيـنـ وـمـصـبـاحـ الـمـتـهـجـدـيـنـ وـقـدـوـةـ الـمـتـقـيـنـ أـبـوـ مـحـمـدـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ بـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ وـلـدـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـالـمـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ يـوـمـ النـمـفـ مـنـ جـمـادـيـ الـأـوـلـىـ سـنـةـ 36ـ سـتـ وـثـلـاثـيـنـ يـوـمـ فـتـحـ الـبـيـرـةـ وـنـزـولـ الـنـصـرـ عـلـىـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـغـلـيـتـهـ عـلـىـ أـصـاحـابـ الـجـمـلــ. وـقـيـلـ فـيـ الـخـامـسـ مـنـ شـعـبـانـ سـنـةـ 38ـ وـأـمـمـهـ ذـاتـ الـعـلـىـ وـالـمـجـدـ شـاهـ زـيـنـ بـنـ يـزـدـجـردــ. وـهـوـ اـبـنـ شـهـرـيـارـ بـنـ كـسـرـىـ ذـوـ سـؤـددـ لـيـسـ يـخـافـ كـسـرـىــ.

وقيل كان اسمها شهر بنو يه وفيه يقول أبو الأسود :

وان غلاما بين كسرى وهاشم لأكرم من نبيط عليه التمام

قال الزهري ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين عليه السلام وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة، وكان إذا توضأ للصلوة يصرّ لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول تدرؤن بين يدي من أريد أن أقوم؟!

وعن ابن عاصي قال: سمعت أهل المدينة يقولون : فقدنا صدقة السرّ حين مات علي بن الحسين عليه السلام وكان عليه السلام إذا حضرت اقشعرّ جلد واصفر لونه وارتعد كالسعفة وكان إذا قام في صلاته غشى لونه لون آخر، وكان قيامه في صلواته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعش من خشية الله وإنما ساق شجرة لا يتحرك منه إلا ما حررت الريح منه وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا . وإذا كان شهر رمضان لم يتكلم إلا بالدعاء والتسبيح والاستغفار والتکبير وكان له خُریطة فيها تربة الحسين (ع) وكان لا يسجد إلا على التراب وكان إذا قرأ "مالك يوم الدين" يكرّرها حتى يكاد أن يموت . وفضائله ومكارم أخلاقه أكثر من أن تعدّ ومعجزاته أكثر من أن تحصى وله الصحيفة السجادية زبور آل محمد . توفي عليه السلام يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت أو مضت من المحرم سنة 95 خمس وتسعين من الهجرة ولهم يومئذ سبع وخمسون سنة سمية هشام بن عبد الملك وكان في ملك الوليد بن عبد الملك . وسمّيت سنة وفاته سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها من العلماء والفقهاء . قال السبط في التذكرة وكان عليه السلام سيد الفقهاء مات في أولها وتتابع الناس بعده سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وعامة فقهاء المدينة وقبره بالبقيع في القبة التي فيها العباس وعمّه الحسن بن علي عليه السلام وعن أبي الحسن عليه السلام قال : ان علياً بن الحسين لمّا حضرته الوفاة أغمى عليه ثم فتح عينيه وقرأ "إذا وقعت الواقعة" و "إنا فتحنا لك" ، وقال : "الحمد للذي مدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبواً من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين" (الزمر 74) ثم قبض من ساعته ولم يقل شيئاً ) . : "إن الله تعالى أوحى إلى دانيال عليه السلام : إنْ أُمِّقت عبيدي إلى الجاهل بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم ، وإنْ أحب عبيدي إلى التقي" الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحكماء القابل عن الحكماء " وأهل العلم هم الأئمة المعصومون . وقال الحكيم والفيلسوف الإسلامي أبو نصر الفارابي (( \* - الفارابي أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي

التركي الحكيم المشهور صاحب التصانيف في المتنطق والموسيقى قالوا انه كان من أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه ويحكي أنه كان منفرداً بنفسه لا يجالس الناس وكان مدّة مقامه بدمشق لا يكون غالباً إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياضاً ويؤلف هناك كتبه ويتناوله المشتغلون عليه . وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذي اقتصر عليها لقناعة ولم يزل على ذلك إلى أن توفي بدمشق سنة 339 (سلط) وقد ناهز ثمانين سنة وصلى عليه سيف الدولة في أربعة من خواتمه ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

: "ينبغي لمن أراد أن يشرع في الحكمة أن يكون صحيح المزاج متأنّ" با بآداب الآخيار قد تعلّم القرآن واللغة وعلوم الشعّ أولاً ، ويكون عفيفاً صدوقاً معرضاً عن الفسق والفحش والغدر والخيانة والمكر والحيلة فارغ البال عن مصالح المعاش مقبلاً على أداء الوظائف الشرعية غير مخل" بركن من أركان الشريعة ولا بآداب من آدابها معطّماً للعلم والعلماء ولا يكون عنده لشيء قدر لا الحكمة وأهلها ولا يتخذ العلم حرفة وإذا كان بخلاف ذلك فهو عنده لشيء قدر لا الحكمة وأهلها ولا يتخذ العلم حرفة وإذا كان بخلاف ذلك فهو عالم زور وحكيم كذب بل لا يعدّ منهم") . فليعلم إن المناسك الصورية والعبادات القالبية ليس لحصول الملائكة الكاملة الروحانية والحقائق القلبية فقط بل هي إحدى ثمراتها لكن عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب جميع العبادات هي إسراء المعارف الإلهية من الباطن إلى الظاهر ومن السر إلى العلن ، وكما أن نعمة الرحمة الرحمانية بل الرحيمية منبسطة إلى جميع النشأت القلبية والقالبية للإنسان ولكل من المراتب حظ من النعم الجامعه الإلهية ولكل منها حظ ونصيب من ثناء الحق وشكر النعمة الرحمانية والرحيمية للواجب المطلقاً وما دام للنفس حظ من النشأة الصورية الدينوية ولها من حياة الملك نصيب، ولا ينطوي بساط الكثرة بالكلية ولا ترتفع حظوظ الطبيعة . والسايك إلى الله كما أنه لا بد ألا يكون قلبه مشغولاً بغير الحق كذلك لا بد إلا يكون مصدره وخياله وملك الطبيعة مصروفه في غير الحق حتى يكون للتوحيد والتقدیس في جميع النشأت قدم راسخ، وإذا كان للجذبة الروحية في ملك الطبيعة نتيجة غير التعبد والتواضع للحق فهي النفس بقية من الأنانية . وسير السايك إنما هو في جوف بيت النفس وليس سيرة إلى الله وغاية سير أهل الله هي أن تكون الطبيعة وملك البدن من صبغة الله .

ولعل من المراتب والبواطن للحديث الشريف الذي يحكي عن لسان الحق تعالى شأنه أن الله قال : " وأننا الرحمن خلقت الرحم وشفقت لها اسماء من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته " فلعلها هي قطع الطبيعة التي هي أم الأرواح عن موطنها الأصلي ووصلها هو ارتياضها وإرجاعها إلى موطن العبودية .

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " استوصوا بعمّ تكم النخلة خيراً فإنها خلقت من طينة آدم " . وهذا الحديث يشير إلى الرحمن الذي ذكرناه .

وبالجملة إخراج مملكة الظاهر عن موطن العبودية وإرسالها على رسالتها من غاية الجهل لمقامات أهل المعرفة ومن تسوييات الشيطان الرجيم فانه يمنع كل طائفة عن الحق تعالى بطريق خاص، كما أن إنكار المقامات وسد طرق المعارف التي هي قرّة عين أولياء الله عليهم السلام وتحديد الشرائع الإلهية بالظاهر الذي هو حظ الدنيا وملك النفس ومقام حيوانيتها والغفلة عن الإسرار والأداب الباطنية للعبادات التي توجب تطهير السرّ وتعمير القلب وارتقاء الباطن من غاية الجهالة والغفلة وكل من هاتين الطائفتين بعيد عن طريق السعادة والمراط المستقيم للإنسانية ومهجور عن مقامات أهل المعرفة .  
والعارف بما في العالم بالمقامات لابد له أن يراعي جميع الحقوق الباطنية والظاهرية ويوصل إلى كل صاحب حق حقه ويظهر نفسه من الغلوّ والتقصير والإفراط والتفرط ويزيل عن نفسه قذارة إنكار صورة ١- الشريعة الذي هو في الحقيقة تحديد ويزيل عن نفسه خباثة إنكار باطن الشريعة الذي هو تقيد وكلاهما من الوساوس الشيطانية ومن أخبار ذلك اللعين حتى يتيسّر له طريق السير إلى الله والوصول إلى المقامات المعنوية . فإنزاله أخبار الأوهام الفاسدة المانعة من القرب إلى الله ومن معراج المؤمنين إحدى مراتب إزالة الخبث، وان من احدى معاني جامعية النبوة الخاتمية ومقامتها بل من دلائل الخاتمية أنه في جميع المقامات النفسية قد استوفى جميع حقوقها وحظوظها من جميع شؤون الشريعة ، وكما أنه في معرفة شؤون الربوبية جلّت عظمته عُرِفَ الحق سبحانه في العلوّ والأعلى والدنو الأدنى لمقام الجامعية وقال: "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" (الحديد ٣) . و "الله نور السموات والأرض" (النور ٣٥) إلى آخره، ولو دليتم بحيل من الأرضين السفلى لهبطتم على الله " فأينما تولوا فثم وجه الله " (البقرة ١١٥) . إلى غير ذلك مما يحصل به للعارف بالمعارف الإلهية والمجذوب بالجذبات الرحامية طرب ملكتي ووجد لاهوتني .

كذلك فقد أسرى التوحيد العملي القلبي إلى آخر مراتب أفق الطبيعة وملك البدن ولم يحرم موجوداً من حط معرفة الله . وبالجملة أهل التصوف يتربّون بالحكمة العيساوية من حيث لا يشعرون، وأهل الظاهر يتكلمون بالحكمة الموسوية، والمحمديون يتبرّؤون من هذين بطريق التقىيد، وتفصيل هذا الإجمال خارج عن مجال هذا المقام ولا ينبغي ذكره في هذه الأوراق .

وصل : عن مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام :

" سمي المستراح مستراح النفوس من أثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقدر فيها ، والمؤمن يعتبر عندها أن الخالق من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدل عنها وتركها ،

ويفرّغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكر عن جمعها وأخذها استنكاره عن النجاسة والغائط والقدر ويتذكر في نفسه المكرمة في حال، كيف تصير ذليلة في حال، ويعلم أن التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين وان الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبير بعد معرفته إياها، ويفرّغ من الذنب ويفتح باب التواضع والنندم والحياء ويجهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب الزلفى ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان ۚ في دار القرار ويدوّن طعم رضاه، فان المعمول ذلك وما عداه لا شيء " . ( انتهى كلامه الشريف ) .

وفي هذا الكلام الشريف حكم ( دستور ) جامع لأهل المعرفة والسلوك وهو أن الإنسان اليقطان السالك إلى دار الآخرة لابد أن يستوفي في كل حال من الحالات حطوطه الروحانية ولا يغفل في حال عن ذكر مرجعه ومآلها، ولهذا قالت الحكماء: النبي خادم القضاء كما أن الطبيب خادم البدن. فان الأنبياء العظام والأولياء الكرام عليهم السلام حيث أنهم لا يرون إلا القضاء الإلهي ولا ينظرون سوى الجهة يلي الله. والحاكم في قلوبهم هو ملوكوت القضاء الإلهي فيرون جريان الأمور بأيدي ملائكة ۚ التي هي جنود ۚ ويجدونها كذلك والطبيب والطبيعي حيث أنه بعيد عن هذه المرحلة ومهجور عن هذا الوادي فينسب جريان الأمور الطبيعية إلى القوى الطبيعية. الإنسان الإلهي يرى في كل شيء الحظ الإلهي . والعين المشاهدة للحق وال بصيرة العارفة باٖ تشاهد في كل موجود نور الحق، كما روى عن أمير المؤمنين والإمام جعفر الصادق سلام ۚ عليهما: " ما رأيت شيئاً إلا ورأيت ۚ قبله وبعده ومعه وفيه " .

وبالجملة الإنسان السالك في جميع أحواله ومن جميع أمره لابد أن يستفيد حطوط سلوكه، فإذا رأى أن الحطام الدنيوي ولذاذ عالم الملك كلها زائلة متغيرة وعاقبة أمرها إلى الفساد والأفول فيعرض قلبه عنها بسهولة ويفرغ قلبه عن الاشتغال بها وجمعها ويستنكر عنها كما يستنكر عن الفدارات . إن باطن عالم الطبيعة هو القدرة وتعتبر الكثافة والقدرة في الرؤيا التي هي باب من المكاشفة تعبيراً عن الدنيا والمال ، وفي المكاشفة العلوية: " الدنيا جيفة وميتة " ( قال علي عليه السلام: " أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبّها " وقال أيضاً: يتنافسون في دنيا دنية ويتكلّبون على جيفة مريحة " ) . فالمؤمن كما يفرغ نفسه عن الايثال والفضولات الطبيعية ويريح المدينة الطبيعية من أذاتها كذلك يريح قلبه من التعلق والاشغال بها ويرفع عن القلب ثقل حب الدنيا والجاه ويريح ويفرغ المدينة الفاضلة الروحانية منها ، ويتذكر في الاشتغال في الدنيا كيف أذلّ النفس الشريفة بعد ساعات وأحوجها إلى أقبح الحالات وأفحشها، كذلك الاشتغال القلبي بالعالم بعدهما يرتفع حجاب الملك والطبيعة وما هو بعيد يذلّ الإنسان ويبتلئه بالحساب والعقاب، ويعلم أن التمسك بالتقوى والقناعة موجب راحة الدارين، وأن الراحة في هوان الدنيا، فلذلك لا يلتذّ ولا يتمتع منها وكما أنه طهّر نفسه من

النجاسات المchorية كذلك سيطهّر نفسه من نجاسات المحرّمات والمشتبهات، وإذا عرف نفسه ووجد ذلّة احتياجها فيغلق باب الكبر والتعظيم عن نفسه ويفر من العصيان والذنب ويفتح على نفسه باب التواضع والندامة ويجدّ ويجهد في إطاعة أوامر الحق ويختبر عن عصيانه حتى يكون له حسن المآب إلى الحق ويقترب إلى مقام القدس بطهارة النفس وصفاتها وليسجن هو بنفسه نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات النفسانية كي يأْمن من سجن العذاب الإلهي ويلحق إلى الحق في دار القرار وإلى كنف ذاته المقدسة فيذوق في تلك الحال طعم رضا الحق تعالى وهذا غاية آمال أهل السلوك وليس لغيره أي قيمة .